مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد-P 7163 – 1112
ردمد-E 1892 – 2588
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

موضوعات الأدب الصوفي في نصوص الطريقة الشيخية

ميلود ربيعي
المركز الجامعي – صالحي أحمد – بالنعامة
rebiai.boufala@gmail.com

ملخص-

ظهر نوع جديد من الأدب صاحب نشوء التصوف منذ القرن الثاني الهجري هو الأدب الصوفي ، وقد تقاطع هذا الأخير مع الأدب العربي في بعض الأغراض والفنون، ولكنه خالفه في المواضيع . يعد هذا المقال كشف لمواضيع التصوف (الحب الإلهي، الخمرة الإلهية، الحقيقة المحمدية، مدح الشيوخ) في بعض إنتاج الطريقة الصوفية البوشيخية التي أسسها سيدي عبد القادر بن محمد المشهور بلقب "سيد الشيخ" والمتوفى سنة 1025هـ، وقد امتدت طريقته من الشرق المغربي(فيجيج) إلى الجنوب الشرقي الجزائري (عين صالح). ذلك أن نصوص الطريقة الشيخية تعتبر تربية سلوكية للطبقة الاجتماعية بحضورها في المناسبات الدينية والمجالس الشعبية والأفراح، في شكل مادة غنائية تهز عواطف الطبقة الشعبية، فلا تخلو أسرة من منشد لهذه القصائد الخاصة .

كلمات دالة : أدب صوفي – الحب الإلهي – الحقيقة المحمدية – الطريقة البوشيخية – مدح الشيوخ .

Soufi literature subjects in Sheikhi order texts

Abstract -

A new type of literature has accompagnied the emergence of Sufism since the second century of egira wich is soufi literature. This literature has some crossroads with arabic literature in some genres. But not in the subjects treated. This article consists on revealing the soufism subjects(divine love, divine winery, the mohammadian truth, the praise of Shoyoukh (masters) in

some of the production of the Boushikhi soufi order wich was founded by Saint Abdelkader bin Mohamed well known as Sidi Sheikh who died in 1025 of Hegire. His order stretched from east Moroccan region (Figuig)to the south east of Algeria (Ain Salah) because the texts of the Boushikhi order are considered as a behavioral education to social class by its attending to religious ceremonies and popular meetings and weddings in form of songs that shakes emotions of popular class. And as a result of this barely no family was without a singer of this particular songs.

Keywords–
Soufi literature, divine love, Mohammadian truth, Boushikhi order, Shoyoukh praise

مقدمة-

الأدب الصوفي أدب رفيع نشأ مع ظهور التصوف ، وقد تعاصر مع الأدب العربي وشاركه في بعض الأغراض والفنون، وانفرد بأغراض أخرى مثل أدب المناجاة والأدب النفسي، ويختلف الأدب الصوفي عن الأدب العربي في المواضيع . ومن ثم تتحدد إشكالية هذا المقال في الكشف عن مواضيع التصوف مثل (الحب الإلهي، الخمرة الإلهية، الحقيقة المحمدية، مدح الشيوخ)، ويحدد هذا في نماذج من نصوص إنتاج الطريقة الصوفية البوشيخية التي أسسها سيدي عبد القادر بن محمد المشهور بلقب "سيد الشيخ" والمتوفى سنة 1025هـ، وقد امتدت طريقته من الشرق المغربي(فيجيج) إلى الجنوب الشرقي الجزائري (عين صالح). ذلك أن نصوص الطريقة الشيخية تعتبر تربية سلوكية للطبقة الاجتماعية بحضورها في المناسبات الدينية والمجالس الشعبية والأفراح، في شكل مادة غنائية تهز عواطف الطبقة الشعبية، فلا تخلو أسرة من منشد لهذه القصائد الخاصة.

أما عن أهمية المقال فتتلخص في كونه أول دراسة عملية لتلك النصوص الشعرية المنبثقة عن روح صوفية شيخية، ثم مساهمة في عرض الأدب الصوفي الجزائري ليلتفت الباحثون إليه فيخرجوا كنوزه ويدرسونها.

النص -

1. <u>الحب الإلهي</u> :يشير القرآن الكريم إلى الحب الإلهي في قوله تعالى: (فَسَوفَ يَاتِي اللهُ بِقَومٍ يُحِبُهُم وَيُحِبُّونَهُ)، وقد تكلمت رابعة العدوية وأبو سليمان الداراني وذو النون المصري، وقد بلغ الكلام عن الحب الإلهي ذروته في القرن الثالث الهجري، فالحب الإلهي مصدره الإسلام نفسه وهو سمو في الغزل العذري وتطور فيه(عبد المنعم خفاجي ، الأدب في التراث الصوفي ، ص 200) [1].وقد اتخذ الصوفية مصطلحات في الحب الإلهي منها: الشوق والحب والعشق، والوجد والفناء والبقاء. وفيما يلي نتتبع شواهد الحب الإلهي في الطريقة الشيخية.

أ- <u>الشاهد الأول</u> : أبيات من قصيدة "الحضرة" لمؤسس طريقة "سيد الشيخ" يقول:

يَا الله خَلخلْ قلبي في هوى ذِكرك لِهواك قُلت يا رَبي بالمرصَاد لِقاك

خَلقتَني لا أَعرفْ عُبيدٌ لكَ ضَعيفْ أُلطُف بنا يا لَطيفْ بالرِضى يومَ لِقَاكْ [2]

وفي بيت آخر يقول :

اذكُروا ياعَابِدينَ ذِكرَ حَضرةَ العُشاقْ هِي وهبُ الذاكِرينْ تُضوي القلوبَ بالإشرَاقْ [3]

رغم أن لغة الشاعر بسيطة إلا أن المعنى جاء قويا قوة حب صاحبه لمحبوبه، فعشاقه كثير يجتمعون لذكره في مجمع يسمى "حضرة العشاق" فيمُنُّ عليهم

---

[1]- عبد المنعم خفاجي ، الأدب في التراث الصوفي ، ص 200.

[2]- ديوان الطريقة الشيخية البوعمامية، جمع الأخوان بلحرمة وبوعمامة، مخطوط ، ص41.

[3]- المصدر نفسه ص 43.

محبوبهم بالضياء والإشراق، يصيب قلوبهم بالسعادة وأي سعادة، سعادة لقاء الحبيب حبيبه، ليس لقاء أجساد ولا أرواح ولكن لقاء "وصل"، لأن المحب والمحبوب ليس من جنس واحد .

ب- الشاهد الثاني : استهلال الشيخ بوعمامة في منظومته بعنوان (يا شفيق) بقوله [4] :

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله رجائي هو الله

فتكرار عبارة "الهيللة" في البيتين وختمها بعبارة "رجائي هو الله" ماهو إلا تحقيق ويقين من صاحبها بخالقه – عز وجل – وكأنه يطوي الزمان والمكان بين العبارتين فالخالق واحد والسير إليه واجب، فهو أول المنى وآخره، وكأنه يحيا ليقول " لا إله إلا الله " حتى يلقى الله .

ت- الشاهد الثالث: بيت آخر من منظومة (يا شفيق) للشيخ بوعمامة يقول :

اجعلني في وجهك ناظر، يا علي ياقادر بجاه النبي البشير بشرني بك يا الله [5]

فهو يدعو مولاه أن يجعله ناظرا لوجهه الكريم، وذلك أنها كرامة عظيمة ودرجة رفيعة تفوق درجات الجنان، فأقصى ما يطلبه المحب هو النظر إلى وجه المحبوب، وأي محبوب إنه رب الأكوان وخالقها،وفي نفس المنظومة يقول [6] :

بجاهِ ذاتِك العَظيمَة يا كَريمُ الكُرمَا أَنتَ نورُ لا ظُلْمة يَا غِني يا الله

فسُبحانكْ يا سبحانْ ذُو البهَاءِ والإحسانْ مُنزهْ عَن الأَكوانْ سُبحانكْ يَا الله

---

[4]- المصدر نفسه ص 44 .

[5]- المصدر نفسه 44.

[6]- المصدر نفسه 48.

نراه يعدد صفات محبوبه صفات العظمة والكرم والنور والغنى، وهي صفات ينفرد بها وحده ويكرر كلمة "سبحانك" التي تعني "لا أحد مثلك" فحبيبه واحد أحد ليس كمثله شيء من مخلوقاته فكيف لا يتيه محبوه في بحر جماله وجلاله .

ث- الشاهد الرابع : في نفس القصيدة يواصل الشيخ بوعمامة قوله :

بجَاهِ أبِي بَكرِ الصدِيقْ وعُمرَ الفَارُوقْ إنِّي دَائما في شَوقٍ إلَى لِقائِك يَا الله [7]

يقدم الشاعر جاها عظيما بين يدي محبوبه ألا وهو جاه الصّدّيق وصاحبه الذين لا يفترقان، فكلما ذكر أحدهما ذكر الآخر، ذلك ليشهدا بصدق شوقه إلى لقاء محبوبه ويختم البيت بعبارة "يا الله"، ويلمس القارئ عند نطقها تلهف وتنهد ومناداة تؤكد الشوق والحنين.

ج- الشاهد الخامس: يتابع الشيخ بوعمامة معالم الحب الإلهي في قصيدته "لا إله إلا الله ما أعظم شأنها"، ففي كل القصيدة يعدد فضل كلمة التوحيد وما لها من خصائص تعود على العبد بالنفع، وعلى المحب بالوصول إلى حضرة محبوبه حيث يتودد إليه بها فيقول [8] :

قَدرها عندَ الله عظيمْ لايُحصي فَضلُها من أرادَ الوصُولْ لا يكونُ من غَيرهَا

هِي رِضَى الله لمنْ اشْتَغل بهَا تَوسلْ بها لِلرَّحمَانْ سَرِيعٌ إجَابتُها

بجَاهِهَا عندكَ يا الله لاَ تشغَلْني بغيرِها

ح- الشاهد السادس : عبرت لالة ربيعة (ت 1328هـ)، زوجة الشيخ بوعمامة في قصائدها ولم تتأخر عن ركب المحبين، وهنا نذكر السيدة رابعة العدوية(ت

[7]- المصدر نفسه 52.

[8]- المصدر نفسه 48.

180هـ) أول من تكلمت في الحب الإلهي، فتحذو لالة ربيعة حذوها بلغة بسيطة أقرب إلى العامية فتقول [9]:

والمحبوب فيك كيف تنساه أنتيا يا مولايا

تجعلي في حماه كاع أنا واياه

حتى أنا بغيت عندك قسمية، يا مولايا

عمر قلبي بلا إله إلا الله

وما تكرارها لعبارة "يا مولايا" على طول القصيدة إلا خضوع ومحبة وإجلال لمحبوبها، راغبة وطالبة وداعية أن تكون ضمن ملأ المحبين والعشاق، في حمى ملك قلوبهم وأسرارهم.

خ- الشاهد السابع: تواصل لالة ربيعة في قصيدة أخرى بعنوان "الصلاة على الهادي بالتمام" في موضوع الحب الإلهي، فتقول في أحد أبياتها [10]:

يا رب قدمنا ليك جميع أهل الصوفية لي تنظر ليك ما قصدي دونك حيا

يا رب قدمنا ليك جماعة الأنبيا اجعل تعلقي بيك نترك قاع الفانية

فمن أراد الوصول إلى محبوبه وصل أحباءه، هكذا سلكت الشاعرة هذا السبيل فتوسلت بالأنبياء وأهل التصوف، لأنهم أحباب الله خاصة لبلوغ مرادها وهو النظر إلى وجه الله الكريم والتلاقي بذاته العلية.

د- الشاهد الثامن:تواصل لالة ربيعة أبياتها باستعمال أسلوب في قولها: "يا رب" وكأنها تقف على الباب تجثو على الأعتاب وتنادي محبوبها في ذل وسكينة بل في عز ورفعة لأن المطلوب هو الله عز وجل تقول [11]:

[9]- ديوان الطريقة البوشيخية ، جمع الأخوان بلحرمة وبوعمامة، ص 63.

يَا رب ما قصدِي فيك لا جنة ولا دُنيا قاصدًا وجهَك نُنظُر فِيه يَا ربٌّ تُوفِّ لَيَا
طَلبتكَ يا وهابْ ترفعْ عنِي ذا الْغضبْ تفتحْ لِي برضاكْ أبوابْ ، حُل بَصيرة قلبِيا
يا ربٌّ بجاه النُّور، ووجهِ نبيِّك الرَّسُولْ تجعَلنِي عندَك مقبُول وفِّيلِي هاذِ المنْية

بهذه العبارات البسيطة والقوية، جمعت لالة ربيعة أشتات حبها، وولهها وشوقها للقاء محبوبها، فجادت قريحتها بتلك الأبيات مازجة الحب بالدعاء، وبأسلوب خال من التعقيد، واضح المعاني، وكيف لا يكون حب ودعاء، فالجميل هو الله والمعطي هو الله جل في ملكه.

2. **الحقيقة المحمدية** :تقرر عند الصوفية أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خلقه الله نورا، ومن نوره خلقت جميع الأنوار يقول ابن عربي: "واصطفى الله من الخلق واحد هو من الناس وليس من الناس لأنه يفيض الوجود على الناس، هو المهيمن على جميع الخلائق جعله الله عمدا أقام عليه قبة الوجود" [12] [1]، فهو حبيب الله ورسوله، قرن الله اسمه باسمه في الشهادتين، فحاز صلى الله عليه وسلم أفضل الدرجات عند ربه تعالى. ومن ثم لزم على المحبين للحضرة الإلهية أن يمروا عبر الحضرة المحمدية، وبهذا التلازم وجدت أن كل من أبدع في الحب الإلهي من الصوفية إلا وله باع في مدح النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، بل لا تخلو قصيدة أو دعاء أو توسل إلا وصاحبها يفتتح

---

[10]- المصدر نفسه ص 65.

[11]- المصدر نفسه ص 66.

[12]- محي الدين بن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 2 ص 97. مهما يكن من معارضة أو إبطال لهذه النظرية، فليس موضوعنا مناقشتها الأن ، وإنما المناسب لموضوعنا أن اعتقاد هذه النظرية هو الذي كان سببا في غزارة الأدب الصوفي فيما يتعلق بالجناب النبوي.

بالمديح بعد الحمد وبه يختتم. وهنا نورد شواهد جادت بها بعض أتباع الطريقة الشيخية في المديح النبوي كما يلي :

أ- <u>الشاهد الأول:</u> ما جاء عند مؤسس الطريقة الشيخية سيدي عبد القادر بن محمد المعروف بسيد الشيخ يقول في منظومته الياقوتة [13]:

أهدِي صلاةً ثم أزكَى تحيةٍ عَلى المجتَبَى الهَادِي شفيعِ البَريَّة

هُو النَّبي المبعوثُ للخلقِ كُلِّهم وحَامِلُ اللِّواءِ كَامِلُ الشَّفَاعَةِ

صلاةً تملأُ الكونَ عددَ وزْنِهِ كَذاكَ مَا فَوقَ الفَوقِ وأَسفَلَ ظُلمَة

بأسلوب متين ولغة قوية تتابع أبيات القصيدة في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويظهر ذلك في تقديم الصلاة هدية مع أزكى التحية، والهدية لا تكون إلا للمحبوب والمحبوب لا يحب إلا لجمال حسنه وكمال صفاته الظاهرة والباطنة ، كما أحسن الشيخ في اختيار الصفات التي تدل على جماله فقال: المجتبى، الهادي، الشفيع، فكيف لا يكون محبوبا وهو الذي اختاره الخالق عز وجل، وكيف لا يكون محبوب وهو الهادي الذي ساق الأمة إلى الخير، وكيف لا يكون محبوبا وهو الشفيع الذي يشفع في أمته يوم العرض الأكبر . كما أن الهدية تكون ثمينة وغالية دائما ويبينها فيقول [14]:

صلاةً تملأُ الكون عددَ وزنه كذاك ما فوقَ الفوقِ وأسفلَ ظُلمَةِ

---

[13]- عبد القادر بن محمد، الياقوتة، كتبت بقلم بوبكر بن مزوزي آل الشيخ، دار الغرب سنة 2004، ص 22- 23.

[14]- المصدر نفسه، ص 23.

يصلي صلاة ليس لها حد ولا حجم ولا عدد، فهي كبيرة وكثيرة وعظيمة عظم هذا الكون الذي لا يُعلم له حد ولا منتهى إلا في علم الله الواحد الأحد.

2- <u>الشاهد الثاني</u>: عند سيدي بوعمامة في قصيدته " يا شفيق" يقدم بين يدي دعائه وتوسلاته مدحا للنبي صلى الله عليه وسلم فيقول [15]:

بجاه العروةِ الوثقَى ذو العلُوم والتُقى شَفيعُنا يومَ اللقَا مولاَنا رسُولُ الله

بحقِ الحقِ الحقيقِ بنُور الوجهِ الدَّفيقْ أجِرنَا مِن كُل ضِيقْ فرِّج مَا بيَا يا الله

ثُمّ الصلاةُ والسلامُ على شَفيعِ الأنَامْ سَيدِي مِصبَاحِ الظلاَمْ حَبِيبِي رَسُولُ الله

ياربِ صَل عَليه بقَدرِ حُبِّك فِيه عَدد مَنْ صلَّى عليه مِن خَلقِك يَا الله

يصف سيدي بو عمامة في هذه الأبيات المتباعدة من نفس القصيدة سيد الخلق بأو صاف جاء بها القرآن الكريم وهي : العروة الوثقى، العالم، التقي، الشفيع، النور، و لأنه كذلك فهو مولاه وحبيبه.

3- <u>الشاهد الثالث</u>: عند سيدي بوعمامة في قصيدة "عليك صلاة الله" وتسمى منظومة "الوصول" في 56 بيت جلها في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وتكون بعدد لا يحصى من مخلوقات الله وعدد صفاته وتعالى وأفعاله، يقول في مستهلها [16]:

يَا ربِّ يا إِلَه سَلِّم مِنِّي علَى حَبِيبِي رَسُولِ الله في السِرِّ والعَلَنْ

[15]- ديوان الطريقة البوشيخة، جمع الأخوان بلحرمة وبوعمامة ، ص 48.

[16]- المصدر نفسه ، ص 51.

نلحظ في هذه المناداة المزدوجة " يا رب يا إله " رجاء واضح، يصور به حالة من الإلحاح والاستكانة أمام ربه تعالى في تبليغ السلام لمحبوبه، ثم يواصل فيقول [17]:

(عَليكَ صَلاَةُ اللهِ يَا خَيرَ خَلْقِهِ)، فيستعمل كاف المخاطبة التي تدل على الحضور والاجتماع والقرب والود والمحبة، فكأنه في مجلس واحد ينظر إليه، وقدمت كلمة "عليك" في أول القول لتدل على علو منزلة المخاطب ورفعتها، والأصل فيها "صلاة الله عليك" .

يواصل سيدي بوعمامة قصيدته في الصلاة على الرسول الكريم معبرا عن الكثرة التي لا تحصى فيقول [18]:

عليك صلاة الله عدد وجوده = عدد قدم الله وبقائه

عليك صلاة الله عدد ذاته = عدد عظمة الله وإحاطته

عليك صلاة الله عدد صفاته = عدد أقواله وأفعاله

عليك صلاة الله عدد قدرته = عدد إرادة الله وما في علمه

عليك صلاة الله عدد علومه = وسمعه وأبصاره وحياته

عليك صلاة الله عدد آياته = عدد ما في القرآن وحروفه

عليك صلاة الله عدد قدر وجوده = عدد كرم الله ورحمته

عليك صلاة الله عدد جلاله = عدد جمال الله بإحاطة كماله

عليك صلاة الله بكل كله = عدد سر الله في سر سره

عليك صلاة الله عدد ما في حكمه = عدد ما في الأزل سابق لخلقه

---

[17] – المصدر نفسه .

[18] – المصدر نفسه .

عليك صلاة الله عدد خلقه = من جن وإنس وملائكته

عليك صلاة الله عدد ما في أرضه = من نبات الأشجار وما دار مائه

عليك صلاة الله عدد ترابه = عدد ورق الأشجار وما يثمر به

عليك صلاة الله عدد ما في بره = من وحوش وأنعام ذباب وطيوره

عليك صلاة الله عدد ما في بحره = من جميع ما يحصى وما لا علم لنا به

عليك صلاة الله عدد أمطاره = وما هزت الأرياح إلى يوم نفخه

عليك صلاة الله عدد ما في سمائه = نجوم ما في الهواء وما بين حجوبه

عليك صلاة الله ما خط قلمه = وما سطر مسطور وما هو في لوحه

عليك صلاة الله ما وسع كرسيه = التحية لله السلام على من فيه

السلام على جبريل وعلى أمثاله = ملائكة الرحمان المحفوفين به

عليك صلاة الله ما أعظم عرشه = بإحاطة التعظيم وما يعظم به

عليك صلاة الله عدد ما في جنانه = عدد من له الدخول بعد مشقته

عليك صلاة الله عدد حلمه ❖ = عدد عفو الله ثم لطفه

عليك صلاة الله عدد كنهه = عدد حركت الله وسكونه

عليك صلاة الله يا نور خلقه = عدد ما يداركه يوم حشره

عليك صلاة الله عدد أرواح خلقه = عدد ما في الأجباح وما هو في غيبه

4- <u>الشاهد الرابع :</u> في أثر الحقيقة المحمدية في قصيدة سيدي بوعمامة المسماة "الصلاة الفوقية"، فنجده يتغنى بأوصاف محبوبه فيقول [19] :

اللهم صل على سيدنا محمد البدر الطالع ❖❖❖❖ اللهم صل على سيدنا محمد النور الساطع

اللهم صل على سيدنا محمد السر القاطع ❖❖❖❖ اللهم صل على سيدنا

[19] - المصدر نفسه ص 55.

محمد العلم النافع

اللهم صل على سيدنا محمد الحلم الواسع ❖❖❖❖ اللهم صل على سيدنا محمد القلب القانع

اللهم صل على سيدنا محمد المقام الرفيع ❖❖❖❖ اللهم صل على سيدنا محمد النبي المطيع

اللهم صل على سيدنا محمد الخاشع المتواضع ❖اللهم صل على سيدنا محمد الكريم السريع

اللهم صل على سيدنا محمد الحق الشارع ❖❖اللهم صل على سيدنا محمد الشفيع المشفع

اللهم صل على سيدنا محمد الزاهد المتورع ❖❖❖ اللهم صل على سيدنا محمد الحصى المانع

فتعداد أوصاف المحبوب زاد في بلاغة الأسلوب، إذ جمع في كل قصيدة بين صفتين تناسب إحداهما الأخرى، وهذا ينم عن لغته الواسعة وكيف تأتى له أن يأتي بكل هذه الصفات مقرونة، وهذا يدل على سعة الاطلاع والقريحة الموهوبة، والشاهد في ذلك قوله: (المقام الرفيع، النبي المطيع، الكريم السريع، الحصن المانع، الفجر الباهر، الكوكب الزاهر، الأصل الطاهر، السراج المنير، جابر الكسائر، عارف السرائر، البهاء الكامل).

5- <u>الشاهد الخامس:</u> في الحقيقة المحمدية، قصيدة "الصلاة والسلام على الهادي بالتمام" للالة ربيعة بنت المنور تقول في افتتاحها [20]:

الصلاةُ والسلامُ على الهادي بالتمامْ عددَ خلقِ الأممْ الطايعَة والجَهلِية

[20]- المصدر نفسه ص 65.

الصلاةُ والسلامُ عددُ مُلكِ العَلاّمْ كُل مَا في العَرشْ أزمَامْ الحَي مَعْ الماضِية

الصلاةُ عليه دوامْ عددَ الشهورِ والأعوامْ والفلْك وتغييرْ العَام مِن لِي تبْنَاتْ الدنْيا

بإسمْ العَظيم بدَيتْ وعلى النّبي صلَّيت هُو قِندِيلِي في البَيت ضَاوي ما لَيه نهَايَة

هذه الأبيات اختلطت ألفاظها الفصحي بالعامية، غير أن نسجها جيد، حيث شكلت قافيتها جرسا رنانا، جعل القارئ يتشوق لإكمال القصيدة، كما جا ء ختامها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فتقول [21]:

الصلاة على المختار عدد الحوت والأشجار عدد الجنة والنار والسما والأرضية

صَلى اللهُ عليك دوامْ مادامْ الدنْيا حَيَا مِفتَاح القلْب والاَذكَار إمَامْ الإسْلامِية

صَلى اللهُ عليكْ كَثيرْ مُحمد صَاحبْ جِبرِيلْ بَكّر لْأُمتَه بالدِين هُو سيد الأَنبيا

لقد أحسنت الشاعرة هنا في اختيار اللفظة وما يناسبها، فصنعت موسيقى للأبيات مثل :

- اختيار اسم "المختار" ليناسب نهايتها "الأشجار" و"النار" .
- اختيار لفظ "دوام" وجاء بـ " دام ، إمام ".
- اختيار لفظ "كثير" جاء بما يناسبها "جبريل ، الدين" على نفس الوزن.

بهذا أدخلت السجع في القصيدة والقافية الموحدة مثل السجع هنا.

أ- <u>الشاهد السادس:</u> في قصيدة "راكب سابقي" للطيب بن بوعمامة يقول فيها :

[21]- المصدر نفسه ص 65.

الصلاةُ على البشيرْ النَّذيرْ عددَ اكْوَانُو مَا خلْقت في ذِي الدُنْيا [22]

يظهر المدح للجناب النبوي بذكر الأوصاف القرآنية للنبي - صلى الله عليه وسلم – (البشير ، النذير)، وكذا كثرة الصلاة عليه بعدد لا يحصيه إلا الخالق سبحانه.

ب- الشاهد السابع: نص نثري للسيدي أبي حفص الحاج [23](ت 1110هـ):

جاء فيه جمل من الثناء والرفعة تمثل المديح النبوي فيقول : (.... شمس معارف أسمائك ومظهر لطائف أسرارك .... حاء الرحمة والأحكام، ميم الملك والمجد ودال الدوام، السيد الكامل، نور كمالك المكنون، شمس النبوة الطالع من بروق شواهد سرك المصون، صاحب العمامة والمين جبريل، المبشر به في التنزيل التوراة والإنجيل) [24]. فهذه الصيغ في الصلاة على النبي المتضمنة للمدح كلها منبثقة من الحقيقة المحمدية التي أشرنا إليها سابقا.

3. **الخمرة الإلهية:** تغنى الشعراء بالخمرة في القديم ونظموا في وصفها القصائد، لكن الشاعر الصوفي تغنى بالخمرة المعنوية التي تعني المحبة الإلهية بصفتها رمز السكر والغيبة، وفي هذا السياق وجدت عدة شواهد في إنتاج الطريقة الشيخية منها:

- الشاهد الأول:ما قاله سيد الشيخ [25] في تائيته الياقوتة [26]:

---

[22]- المصدر نفسه ص 75.

[23] - أبي حفص الحاج بن عبد الحاكم بن سيد الشيخ مؤسس زاوية البنود جنوب الأبيض سيد الشيخ بولاية البيض، وقد سكن مصر وتوفي بها حواي 1100هـ

[24]- أبو حفص الحاج بن أبي الحكم ، بهجة البهاج ، تحقيق: عبد الله طواهرية، منشورات دار الأديب، ص11- 15.

فَلمَّا أُدِيرتِ الأَبارِيقُ بَينَنَا من الشوقِ تتلُوها كُؤُوس المحِبَّة

ونحنُ نَشَاوى نَبتَغِي شُربَ خَمرِهَا بكِلْتا اليَدَينِ في الأَوَانِي المُعَدَّة

وحينَ انتَهَى بنَا الشَرابُ علَى الذِي قَضاهُ لَنَا الرحمَانُ وفْقَ المَشِيئَة

سَكرنَا وهِمْنا بالشَّراب فَبينَما أَنَا بَينَ حَالَيْ غَيبَةٍ وإِفَاقَة

أشار "عبد الله طواهرية" إلى شرح موضوع الخمرة في هذه الأبيات فقال : "فالشوق هو نزاع القلب إلى لقاء المحبوب، ومعنى نشاوى حالة الوسط للتجليات الإلهية، والخمر لدى الصوفية كناية عن الحكمة الإلهية والأحوال الربانية والمعرفة التي يفضها الله تعالى على قلوب العارفين قال ابن الفارض:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم" [27]

كما تعرض إلى بيان الخمرة في هذه الأبيات "مهاجر أحمد البوشيخي"، فقال :" عبر الناظم عن نفسه وعن باقي السالكين بالمدعوين لتلك الموائد، وجعل حبهم لله تعالى وشوقهم إليه سبحانه مسكوبا في الأباريق، ومنها في الأكواب كما تسكب الخمرة المادية، وكأن ساقيا يطوف عليهم بها، فتارة يسقيهم الشوق بالأباريق، وطورا يسقيهم المحبة بالكؤوس، فتقع لهم من ذلك نشوة وسكرة" [28].

---

[25] - سيد الشيخ اسمه عبد القادر بن محمد الصديقي (940 – 1025هـ) مؤسسة الطريقة الشيخية دفين الأبيض سيد الشيخ بولاية البيض الجزائر .

[26] – عبد القادر بن محمد ، الياقوتة ، بقلم بوبكر بن مازوزي آل الشيخ ، ص 9.

[27] – طواهرية عبد الله ، إمتاع القراء بشرحي الياقوتة والحضرة الغراء ، منشورات دار الأديب ، الطبعة الثانية سنة 2008م ، ص 53.

[28] – مهاجر أحمد بن محمد البوشيخي ، ومضات على الطريقة الشيخية في شروح على تائية سليل الدوحة الصديقية المسماة : الياقوتة ، الطبعة الأولى 2011 - 2012 ، ص 91.

فإذا كانت الخمرة الحسية تذهب العقل وينغمس صاحبها في أوحال المعاصي، فإن خمرة المحبة عند الصوفية تغمس صاحبها في سعادة الحضرة الإلهية.

- **الشاهد الثاني**: ما قاله سيد الحاج محمد بن بحوص [29](ت 1954م) [30]، في قصيدته:

اسْقِنَا مِن كَاسْ اطْيَابْ كَاسْ مْخَمَّرْ لِلنَّعْنَة

يشبه المحبة بكأس خمر يكشف لصاحبها طريق الوصل مع المحبوب.

4. **مدح الشيوخ**:تعددت الطرق الصوفية وتنوعت، لكنها استمدت عن منهج واحد، وهو التربية الروحية التي سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك تلتزم كل طريقة بشيخ روحي واحد تنسب إليه نسبة تجديد للتربية والسلوك، فهو صاحب الإذن في منح الأوراد، فتعددت الطرق وتسلسل شيوخها، وظهرت عليهم كرامات وخصال على منهاج النبوة. وتبعا لذلك نشأ غرض مدح الشيوخ في الأدب الصوفي. وفيما يلي نعرض شواهد من مدح الشيوخ في نصوص الطريقة الشيخية :

- الشاهد الأول : جاء في قصيدة (الياقوتة) لمؤسس الطريقة سيد الشيخ قوله [31] :

[29] – محمد بن بحوص المعروف بمول السخونة الزاوي شيخه الطيب بن الشيخ بوعمامة وقد أسس زاوية الأولى بمنطقة الموحدين قرب بلدية الرقاصة ولاية البيض بالجزائر، ثم زاوية السخونة بعين السخونة بولاية سعيدة، وقد توفي سنة 1954م .

[30] – شيخ زاوية عين السخونة ودفينها بولاية سعيدة. طواهرية عبد الله ، بلغة المحتاج ، ص19

[31] – عبد القادر بن محمد ، الياقوتة ، بقلم بوبكر بن مازوزي آل الشيخ ، ص 9.

فشيخُ الشيوخِ ذاك شيخُ زمَانِنا ❖❖ إليه انتهت فنونُ هذِي الطريقَةِ
فمِن شيخِنا عَن شَيخِه عن شُيوخِه ❖❖ تَسلْسلَت الأشْياخُ أهلِ العِنَايَة

فخذهم بنظم واحدا بعد واحد ❖❖ عليهم من الإله أزكى تحية
فأولهم في الذكر شمس وجودنا ❖❖ وقطب نهى علومنا اللدنية
إليه انتهت رئاسة القوم فارتقى ❖❖ على صهوات المجد من غير مرية
أبو عبيد الإله يسمى محمدا ❖❖ إلى عبيد الرحمن يعزى في نسبة
عليه سلام الله ما ذر شارق ❖❖ وما غنى طير باللغات الحنينة
فعنه أخذنا أعني عن قمر الدجى ❖❖ ورثنا طريق القوم دون استرابة
فبالراشدي اقتدى وعن زروق اهتدى ❖❖ عن الحضرمي ثم شيخ القرافة
عن ابن عطاء الله بحر علومنا ❖❖ عن المرتضى المرسي أحمد حلة
معارف منه للورى ومواهب ❖❖ فحاز بها مجد العلى والجلالة
إلى الشاذلي السامي أبي الحسن الذي ❖❖ بحوز الكمال أضحى بحر الحقيقة
عن ابن مشيش قطب دائرة العلى ❖❖ عبيد السلام ذي العلوم الرفيعة
عن المدني المرضي غوث زمانه ❖❖ أبي يزيد النحرير تاج الأحبة
عن الشيخ شيخه مريد شعيبهم ❖❖ أبي أحمد السني بدر السعادة
عن السيد الذي أقر بفضله ❖❖ أئمة من مضى من أهل الولاية
ومع ذاك أن الله أشهر ذكره ❖❖ كشهرة هذي الشمس من كل بلدة
أخي لذ به وأصغ سمعا لإسمه ❖❖ أبي مدين إمام هذي الطريقة
لقد أخذ الأسرار عن قطب غربنا ❖❖ الإمام أبي يعزى نور البصيرة
عن السيد الأسنى الهمام الذي سما ❖❖ أبي الحسن إبن حرزهم ذي الإغاثة
عن الشيخ فخر الدين ناهيك فخره ❖❖ أبي بكرهم يحي سراج الأئمة
عن الشيخ شيخ الكل سر هداتهم ❖❖ إمام كفياض البحور وقدوة
به يستغيث الكل شرقا ومغربا ❖❖ أبي حامد الغزالي عين العناية
عن السيد أبي المعالي لأنه ❖❖❖ إمام إليه ينتهي في الفراسة

عن الشيخ شمس الدين ذي النصح للورى ❖❖ أبـي طـالـب المكـي نـور الـولايـة
عـن السيد المرضي فـي كـل سيـرة ❖❖ الإمـام الجـريـري ذي الـنهـى والنهـايـة
عـن الشيخ تـاج العارفين رئيسهم ❖❖ أبـي القـاسـم الجـنيـد روح المـجـادة
عن السري السقطي نجل مغلس ❖❖ عن معروف الكرخي نجم الدلالة
إلـى داوود الطائي الـذي فـاض علمه ❖❖ عـن العـجـمي حبيبهم ذي الإنـابـة
إلى الحسن البصري الـذي فـاق نـوره ❖❖ نـجـوم الـدجـى ونـور كـل منـيـرة
إلـى سيف ربنـا المهنـد للـعـدا ❖❖ وبـاب مـدينـة الـعـلـوم الجـليـلـة
أبـي الحسـن علـي صهـر نبينـا ❖❖ عليـه رضـاء الله فـي كـل لمحة
إلـى تـاج مـن وافـى القيـامـة جملة ❖❖ ونـوره عين الكون مـن دون مرية
محمد الهادي إلـى النـاس رحمـة ❖❖ ومـعـدن أسـرار وعنـصـر نـعـمـة
وسميتها الياقوت رفعا لـقـدر مـا ❖❖ تسلسل فـيـها مـن أشـيـاخ عـديـدة

فنرى الشيخ في تائيته يعدد خصال شيوخ سلسلته في السند الروحي، ابتداء من شيخه المباشر "ابن عبد الرحمان السهلي [32]" وصولا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك بلغة فصيحة وأسلوب محكم، كما أن هذا المدح جاء في آخر القصيدة، وكأن الشيخ يشير إلى درجة الولاية التي من الله عليه بها. قال مهاجر أحمد: " ركز على ذكر خصائص هذه السلسلة لستدل على صحة السند، ومن ثم الاعتداد بسنية طريقته" [33].

[32] - محمد بن عبد الرحمان السهلي أو الغربي قال عنه صاحب (جواهر السماط): "الشيخ الولي الجليل النفاع الظاهر الحال القوي السلوك أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن دفين بلاد السهل بكير.." يقصد منتهى واد كير. أخذ عن الولي أحمد بن يوسف الملياني .

[33] – مهاجر أحمد البوشيخي ، ومضات على الطريقة الشيخية ، ص 230.

- **الشاهد الثاني : تضمنت قصيدة لالة ربيعة [34] "الصلاة والسلام على الهادي بالتمام"، مدح لسيد الشيخ مؤسس الطريقة وفيه تقول [35]:**

هذا الشي من فضل الشيخ بن محمد عينيا

وبه المجد الشامخ سلسلة بوبكرية

تشير إلى سيد الشيخ مؤسس الطريقة (بن محمد)، وتصفه بشامخ المجد في الذرية البوبكرية.

- **الشاهد الثالث : والذي يمثل ديوان كامل للشاعر محمد بلخير [36] (ت 1898م) المعروف بمداح سيد الشيخ ، فقد استغرق ديوانه في مدح مؤسس الطريقة عبد القادر بن محمد، وكله بالشعر الشعبي الملحون يقول في قصيدة "سلاك المغبون":**

مولـــــى سبع قباب مرتاح الزيار❖❖❖❖مول السر الظاهر عليا ربي رضيه

مـــــا بياش الحبس بيا عيب وعار❖❖❖❖ويقولـــوا هذا بشيخه واسمح فيه محمد بلخير عبد بـــلا تـحـــرار ❖❖❖❖نحسب سيد الشيخ ليا وانـــا ليه [37]

ويقول في موضع آخريدل على قصور مدحه على شيخه ونبيه :

ماني مداح انجوع إلا انت والمداني .

---

[34] - لالة ربيعية زوجة الشيخ المجاهد بوعمامة المتوفى سنة 1908م بعين بني مطهر نواحي وجدة المغربية.

[35] - ديوان الطريقة الشيخية ، جمع الأخوان بلحرمة وبوعمامة ، ص 68.

[36] - هو محمد **بلخير** من قبيلة الرزيقات فرع أولاد داود، ولد حسب التقديرات ما بين 1830- 1832 م . شارك في ثورة أولاد سيد الشيخ ، ثم نفي إلى جزيرة كورسيكا مدة سبعة سينين وسبعة أشهر ، له ديوان في الشعر الملحون. موقع مقاومة أولاد سيد الشيخ ، تحقيق خادم الطريقة حاكمي مصطفى .

[37] - موقع مقاومة أولاد سيد الشيخ ، تحقيق خادم الطريقة حاكمي مصطفى .

خاتمة : أختم القول في هذه الورقة البحثية بأن هذه المواضع تدل على بعض من الموضوعات التي لها شواهد في إنتاج الطريقة الشيخية، ويبقى المحور مفتوحا لتتبع كل الشواهد في كل النصوص الأدبية، المتعلقة بالطريقة .

قائمة المراجع:

1. **أبو حفص الحاج بن أبي الحكم ، بهجة البهاج ، تحقيق: عبد الله طواهرية، منشورات دار الأديب.**
2. **ديوان الطريقة الشيخية البوعمامية، جمع الأخوان بلحرمة وبوعمامة، مخطوط .**
3. **طواهرية عبد الله ، بلغة المحتاج ، منشورات دار الأديب .**
4. **طواهرية عبد الله ، إمتاع القراء بشرحي الياقوتة والحضرة الغراء ، منشورات دار الأديب ، الطبعة الثانية سنة 2008م.**
5. **عبد القادر بن محمد، الياقوتة، كتبت بقلم بوبكر بن مزوزي آل الشيخ، دار الغرب سنة 2004 وهران.**
6. **عبد المنعم خفاجي ، الأدب في التراث الصوفي ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر القاهرة.**
7. **محي الدين بن عربي ، الفتوحات المكية ، ضبط وتصحيح أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، الطبعة الثانية 2006م.**
8. **مهاجر أحمد بن محمد البوشيخي ، ومضات على الطريقة الشيخية في شروح على تائية سليل الدوحة الصديقية المسماة : الياقوتة ، الطبعة الأولى 2011 - 2012 ، دار الأديب.**

مواقع الانترنيت:

[1]- موقع مقاومة أولاد سيد الشيخ ، تحقيق خادم الطريقة حاكمي مصطفى

./http://www.cheikhiyya.com